

تعديل جذري في زمن دخول طقس السجود إلى صلاة السجدة

.... وكانت له أيضاً علاقات ودية مع الكنيسة الرومانية والكنيسة الأرمنية^(١).

إن هذه الخدمة في يوم عيد العنصرة، من المحتمل جداً أنها كانت معروفة في زمن البطريرك الملكاني مكاريوس الثاني (١١٦٤-١١٦٦م)، إلا أن طقس السجود فيها لم يكن قد عُرف بعد في هذا الوقت أي النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، ذلك لأن التاريخ لا يربط بين هذا البطريرك وبين تغييرات مناخية شديدة، كعواصف (أو زلازل أو براكين)، كالتي يذكرها "كتاب اللقان والسجدة، المطبوع سنة ١٩٢١م".

أمّا الرأي الذي حاول أن يربط هذه التغييرات المناخية بزمن البطريرك الأنطاكي ميخائيل الكبير (١١٦٦-١١٩٩م)، وليس البطريرك الملكاني مكاريوس الثاني (١١٦٦-١١٦٤م)، فلم يسفَعنا في تحديد الزمن الذي بدأ فيه طقس السجود الكامل إلى الأرض في هذه الخدمة، لأنه رأي يتكلم عن زلزال وليس عن ريح عاصف. وهو ما ذكره البطريرك الأنطاكي ميخائيل الكبير في مؤلفه: "التاريخ الكبير"، وينقله عنه مار غريغوريوس أبي الفرج بن العبري (١٢٢٥-١٢٨٦م) في كتابه: "تاريخ الزمان"، ضمن أحداث يوم الاثنين ٢٩ حزيران (يونيه)، الموافق ١٢ شوال سنة ١١٧٠م، فقال: "حدثت زلزلة عنيفة جداً حتى اهتزت الأرض، اهتزاز سفينة في البحر، ممّا لم يُسمع له مثيل في العصور الغابرة. وقد قال البطريرك ميخائيل المغبوط، عنه: كنّا واقفين في هيكل دير مار حنانيا بالزّعفران، نتلو صلاة الصبح، يوم عيد القديسين بطرس وبولس، فسمعنا بغتة صوت رعد قوي، وسقطنا على وجوهنا أمام المائدة المقدسة، وتشبّثنا بها، ونحن نميل هنا وهناك. وبعد مدّة طويلة، أفقنا كمن يفيق من القبر، وانتبهنا انتباه من ينهض من رقاد، وتدحرجت الدُموع من عيوننا، وأطلقنا الألسنة بالشكر والتسبيح لله تعالى... وقد استغرقت مناوبة الزلزلة خمسة وعشرين يوماً"^(٢). فالكلام هنا هو عن عيد القديسين بطرس وبولس، وهو بعيد عن عيد الخمسين.

إنّ الأمر الذي يدحض هائياً أن يكون طقس السجود الكامل إلى الأرض والذي لم يرد إلا في "كتاب اللقان والسجدة، المطبوع سنة ١٩٢١م"، قد حدث في القرن الثاني عشر الميلادي، هو أن مصادرنا الطقسية القديمة في الكنيسة القبطية حتى القرن السابع عشر الميلادي، لا تذكر أي سجود كامل إلى الأرض في هذه الخدمة. وكل ما يُذكر فيها، هو إمّا إحناء الرأس، أو الرُكوع على الرُكبتين^(٣). وليس من المعقول أن يكون طقس السجود الكامل إلى الأرض في هذه الخدمة، قد عُرف في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي تقريباً، أو الثالث عشر الميلادي، وتظل مخطوطاتنا القبطية بدون استثناء تصمّت عن أية إشارة إلى هذا السجود طيلة أربعة أو خمسة قرون تالية، أي حتى إلى القرن السابع عشر الميلادي.

وعلى ذلك فليس أمامنا سوى البطريرك الملكاني مكاريوس الثالث (١٦٤٨-١٦٧٢م)، المعروف باسم ابن الزعيم، في

١- برغم مرور الدكتور أسد رستم على البطارقة السابقين له باسم مكاريوس، مروراً عابراً، يفرد فصلاً كاملاً (وهو الفصل الثامن والأربعون) لهذا البطريرك.

انظر: الدكتور أسد رستم، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٤٨-١٠٢

٢- كتاب "تاريخ الزمان"، لأبي الفرج جمال الدين بن العبري، نقله إلى العربية الأب اسحق أرملة، إصدار المشرق، بيروت، سنة ١٩٨٦م، ص ١١٨٣

نقلاً عن الباحث مدحت حلمي تادرس، الأنبا بطرس أسقف البهنسا، مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الأولى، العدد الثاني، مايو- أغسطس ٢٠٠٩م، ص ١٥٩، ١٦٠

٣- انظر ص (٣٤٤) من هذا الكتاب الذي بين يديك.

النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، ليكون هو البطريرك المقصود.

وإذا عرفنا أن الكنيسة البيزنطية كانت تمارس طقس السجدة في عصر يوم العنصرة، قبل أن تنقل الاحتفال به إلى الصباح في عصور متأخرة، فهل يمكن القول بأن الكنيسة البيزنطية كانت من وراء طقس السجود الذي ظهر في هذه الخدمة، ومنها انتقل هذا الطقس إلى بقية الكنائس الأخرى، حتى وصل إلى الكنيسة القبطية؟

حرق البخور الكثير في طقس السجدة

في هذا الطقس أيضاً، يُحرق كثير من البخور على نفوس المنتقلين... الخ.